ملف خاص

بمناسبة الذكرى المئوية

دروس من كوميونة باريس

■ يحتفل الثوار في جميع انحاء الارض ، هذه الايام ، بالذكرى المئوية لكوميونة باريس : اول ربيع بروليتاري في التاريخ .

ولعل تجربة الكوميونة ، على قصرها ، من اخصب التجارب النضالية التي يتمين على الثوار استيعابها ، وخصوصا في وضعنا الراهن : ان تتبع احداث الكوميونة ، كما سنسجلها هنا ، يلفت الانتباه بصورة مذهلة الى اوجه التشابه العديدة مع التجربة التي نخوضها المقاومة الفلسطينية في هذه الفترة ....

ان « الهدف » ، تقدم في هذه الصفحات ، بمناسبة الذكرى المئوية لكوميونة باريس ، عرضا مختصرا للتجربة ، مزودا برسوم سجلها في تلك الفترة ، وفق الاسلوب الشائع انذاك ، كبار رسامي العصر في فرنسا وخارجها ، وقد استعانت « الهدف » ، بالرسوم وبالنص (ولكن بتصرف) من منشورات مختلفة ابرزها ملحق اصدرته منظمة الشبيبة التابعة للحزب الشيوعي الدانمركي .

■ كانت من بين نتائج الحرب الفرنسية الالمانية ١٨٧٠ سقوط الامبراطورية وانشاء الجمهورية . وتسلمت حكومة تمثل البورجوازية الكبيرة زمام السلطة في البلاد . لقد انتهت الحرب بانتصار الالمان الا ان باريس كانت ما تزال تقاتل ، ورفض قلب فرنسا الاستسلام .

ان الطبقة العاملة التي كانت منذ البدء ضد تفجير هذه الحرب تطلب الان تصعيد الدفاع القومي . كان الاقطاعيون والراسماليون يعانون الان من المتاعب ، وكانوا على غير رغبة بالدفاع عن باريس ، واكثر من شيء اخر تزايدت كراهيتهم للجماهير الباريسية المسلحة ، ولذلك اعتبروا الجيش الالماني الان حليفا طبيعيا لهم ...

وطوال ١٣١ يوما استطاعت باريس أن تصمد امام حصار الماني شامل ، وقد دفعت الجماهير غاليا ثمن هذا الحصار جوعا وبردا وموتا . وفي ٢٨ كانون الثاني ١٨٧١ اضطرت باريس الجائعة للاستسلام ، وقد سمح للالمان بالبقاء يوما واحدا في حي اعزل ومهجور في باريس ، وكان على الالمان ان يقوموا بعرض ولكنه عرض رمزي في باريس ، وحين شعروا بانهم محاطون بالبروليتاريا المسلحة من كل جانب اخلوا المدينة على حطام الانتصار المشكوك بثماره ... ■

■ اجتاح الخوف الاقطاعيين والراسماليين ، وتيقنوا ان امتيازاتهم : ثرائهم وقدرتهم على الاضطهاد والاستغلال تتارجح الان على كف عفريت ، ان الثورة على مقربة الان ، واذا كانوا يريدون منعها فعليهم تجريد البروليتاريا من السلاح باي ثمن .

في ١٨ اذار اعطى رئيس الحكومة ، واسمه « تيرز » ، الاوامر بتجريد الحرس الوطني من المدافع ، الا ان المحاولة فشلت ، فقد تصدت الزوجات والعمال لمنع حدوث ذلك « ان مدافعنا نحن ! » هكذا كانوا يصيحون .

لقد صبت الجماهير كراهيتها على الجنرالين اللذين حاولا تجريد الحرس الوطني من السلاح الثقيل ، فقد كانا معروفين بمدى اضطهادهما للبروليتاريا ، وهكذا ساقهما جنودهما انفسهم ، الذين انضموا الى الجماهير ، امام مجلس المدينة ونفذوا فيهما حكم الاعدام .

عاصفة من الغضب اجتاحت المدينة ، واركن رجال الحكومة واساطنة الرجعيين الى الفرار .. ولجأ « تيرز » ورجاله الى الالمان في فرساي...

وهكذا كشفت الجماهير الخيانة العظمى التي ارتكبها هؤلاء ضد الامة ■

■ في ٢٨ آذار اعلنت ولادة كميونة باريس : لاول مرة في التاريخ لم تكن البروليتاريا الا سيدة نفسها ، وقد جاء برنامج الكميونة مختصرا وواضحا وبسيطا : « الارض للفلاحين ، الادوات للعمال ، والعمل للجميع ، ايها العمال ، تولوا اموركم بانفسكم ، فقد آن اوان تحرر البروليتاريا » .

هكذا كان الاشتراكيون الواعون يتحدثون ، الا انهم كانوا ايضا يحتفظون بضعفهم الخاص : فقد كانوا غير حذرين كفاية ازاء اعدائهم الطبقيين ، ان طيبتهم كانت تقرب حد السذاجة ، ولم يكن لديهم الكفاية من الشجاعة للاستيلاء على الـ ٣ مليارات فرنك التي كانت موضوعة في مصرف فرنسا وسط باريس ، ولو فعلوا ذلك لكان مصيرهم قد اختلف ، فبدون الذهب يصبح الراسماليون بلا مخالب ، اكثر من عرايا ، وغير قادرين على فعل اي شيء ..
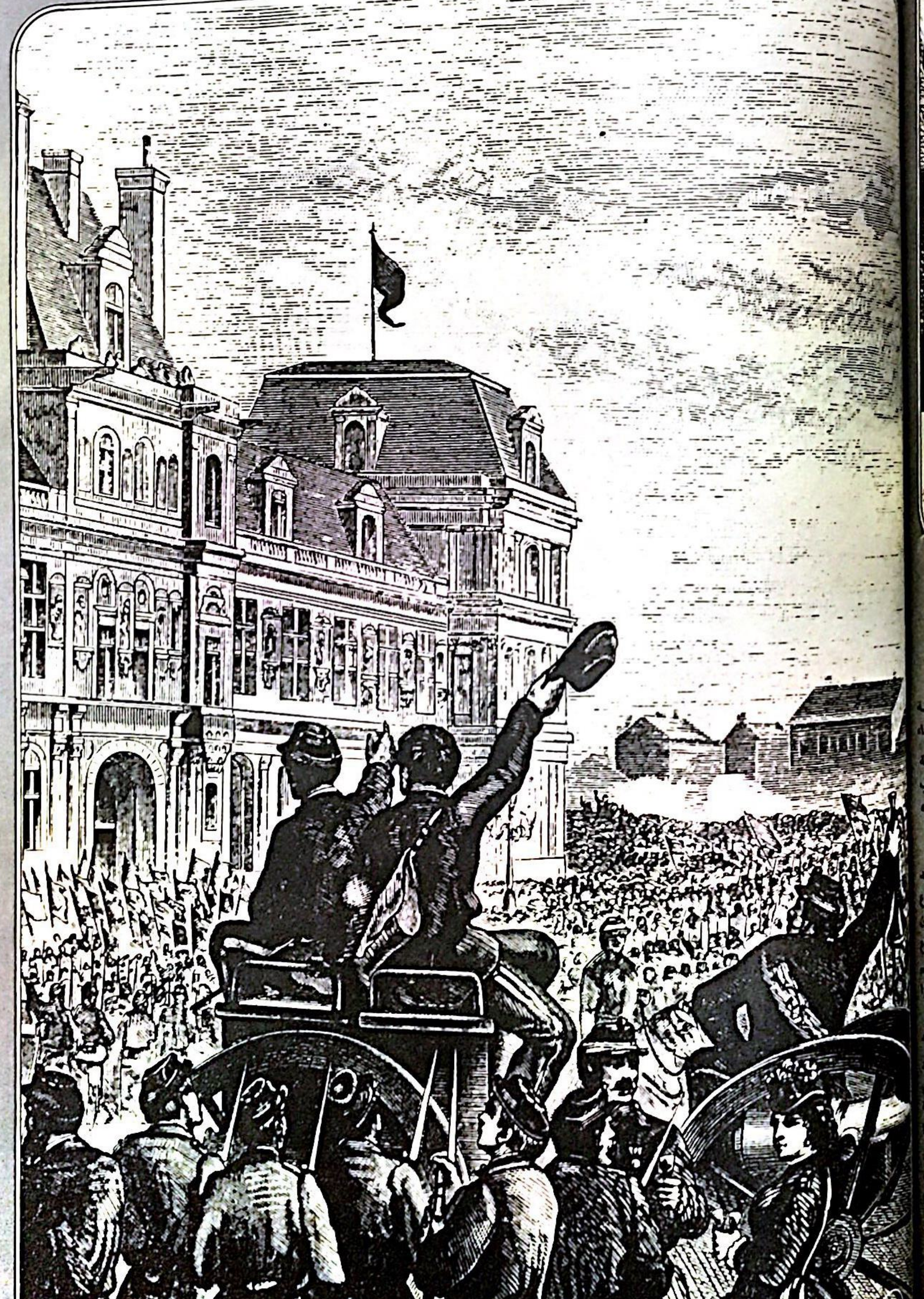
الا ان ما هو اخطر من ذلك كان الخطأ العسكري الذي ارتكبه الكميونيون : فبدل مهاجمة العدو وتدميره في فرساي ، صاروا يتحدثون عن « حقن الدماء » ، وبالرغم من كل الانتهاكات ، واعدام الكميونيين المعتقلين من طرف العدو الطبقي ، ظلت باريس في موقف الدفاع ازاء فرساي ، وكانت الحجة : تجنب الحرب الاهلية ! ■